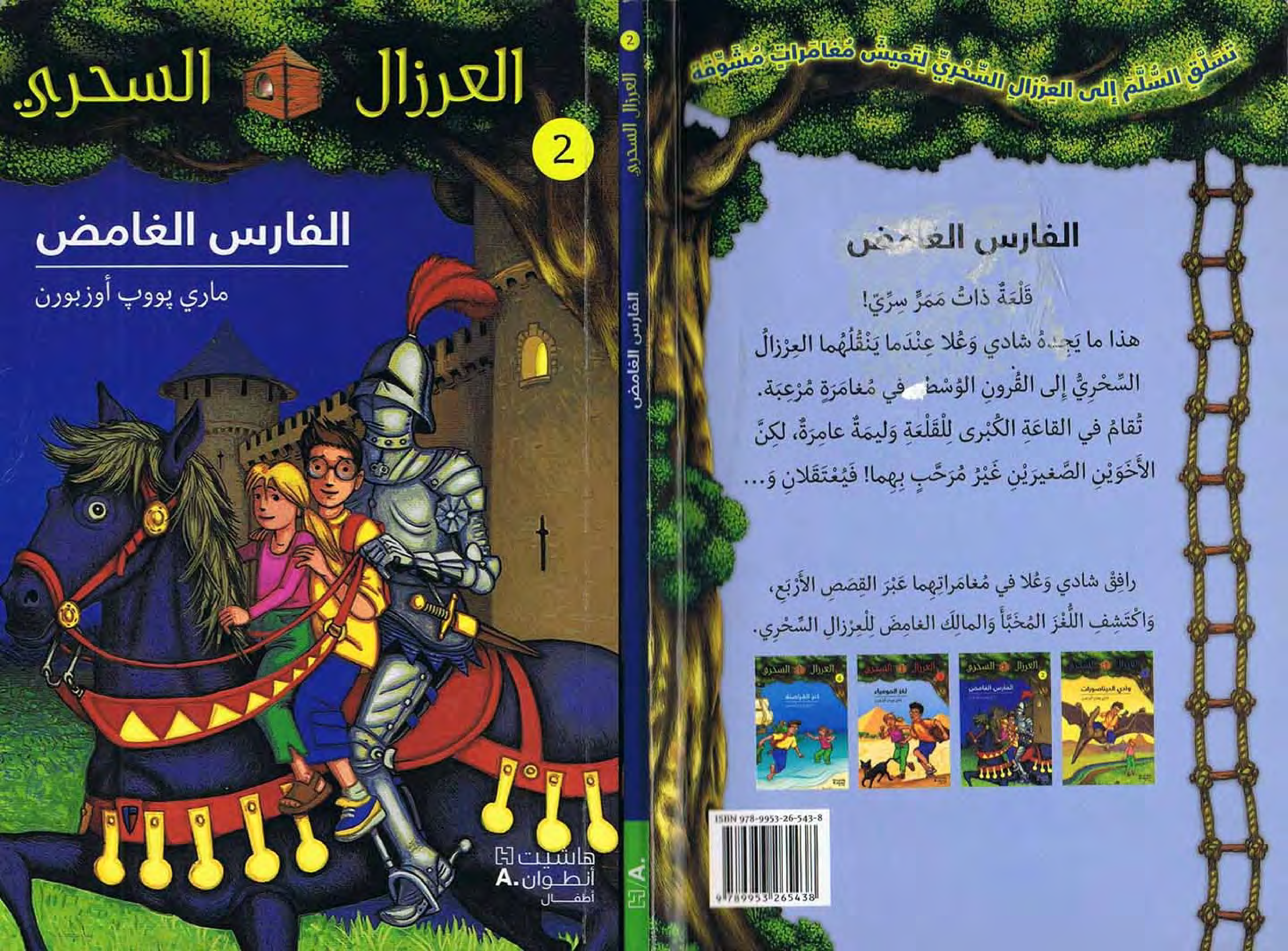

العرزال السحري
2
الفارس الغامض
ماري پووپ أوزبورن
هاشيت أنطوان A. أطفال
2 العرزال السحري
الفارس الغامض
تسلّقِ السّلّمَ إلى العِرْزالِ السِّحْريِّ لِتعيشَ مُغامَراتٍ مُشوّقة
الفارس الغامض
قَلْعَةٌ ذاتُ مَمَرٍّ سِرِّيّ!
هذا ما يَجِدُهُ شادي وَعُلا عِنْدَما يَنْقُلُهُما العِرْزالُ السِّحْرِيُّ إلى القُرونِ الوُسْطى في مُغامَرَةٍ مُرْعِبَة. تُقامُ في القاعَةِ الكُبْرى لِلْقَلْعَةِ وَليمَةٌ عامِرَةٌ، لكِنَّ الأَخَوَيْنِ الصَّغيرَيْنِ غَيْرُ مُرَحَّبٍ بِهِما! فَيُعْتَقَلانِ وَ...
رافِقْ شادي وَعُلا في مُغامَراتِهِما عَبْرَ القِصَصِ الأَرْبَع، وَاكْتَشِفِ اللُّغْزَ المُخَبَّأَ وَالمالِكَ الغامِضَ لِلعِرْزالِ السِّحْري.
ISBN 978-9953-26-543-8
9 789953 265438

الفارس الغامض

العرزال السحري

الفارس الغامض

ماري پووپ أوزبورن

نقلها من الإنكليزيّة: غسّان غصن

الرسوم: فيليب ماسون

هاشيت أنطوان
أطفال

سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورست
ص. ب. 0656-11، رياض الصلح، 2050 1107 بيروت، لبنان
info@hachette-antoine.com

اقتباس تصميم الغلاف: ألزا مهنّا
اقتباس التصميم: ماري تريز مرعب
الرسوم: Philippe Masson pour Bayard Editions, 2002 ©
طباعة: المطبعة العربية، لبنان

ر.د.م.ك.: 978-9953-26-543-8

Original Title:
(#2) The Knight at Dawn
Text copyright © 1993 by Mary Pope Osborne
This translation published by arrangement with Random House Children's Books, a division of Random House, Inc.

مُلَخَّصُ القِصَّةِ الأُولى

خِلالَ نُزْهَةٍ في الغابَةِ، اِكْتَشَفَ الأَخَوانِ الصَّغيرانِ عِرْزالًا في أَعْلى شَجَرَةٍ... مَليئًا بِالكُتُبِ. فَتَحا كِتابًا وَأَعْرَبا عَنْ أُمْنِيَةٍ، فَنَقَلَهُما العِرْزالُ السِّرِّيُّ إِلى زَمَنِ الدَّيْناصورات. اسْتَكْشَفا العالَمَ الَّذي تَعيشُ فيهِ مَخْلوقاتٌ عِمْلاقَة... وَعَثَرا عَلى ميدالِيَةٍ حُفِرَ فيها حَرْفُ «الميم». فَمَنْ سَبَقَهُما إِلى هُناك؟ وَقَدْ نَجا شادي بِأُعْجوبَةٍ مِنَ الدَّيْناصورِ الرَّهيبِ ذي القُرونِ الثَّلاثَةِ، بِمُساعَدَةِ تيرانُدونٍ... طارَ بِهِ إِلى العِرْزالِ السِّحْرِيّ. وَعادَ الصَّغيرانِ إِلى بَيْتِهِما سالِمَيْن.

1

الغابَةُ المُظْلِمَة

لَمْ يَسْتَطِعْ شادي أَنْ يَنام.

وَضَعَ نَظّارَتَهُ عَلى عَيْنَيْهِ، وَنَظَرَ إِلى ساعَةِ المُنَبِّهِ عَلى الطّاوِلَةِ الجانِبِيَّة. إِنَّها الرّابِعَةُ وَالنِّصْفُ صَباحًا.

لا يَزالُ الوَقْتُ مُبَكِّرًا جِدًّا لِلنُّهوضِ مِنَ السَّرير.

أَمْسِ، حَدَثَتْ أُمورٌ غَريبَةٌ عَديدَة. وَهُوَ الآنَ يُحاوِلُ تَفْسيرَها.

أَضاءَ المِصْباحَ قُرْبَهُ، وَأَخْرَجَ دَفْتَرَ مُلاحَظاتِه. ثُمَّ بَدَأَ يَقْرَأُ ما كَتَبَهُ قَبْلَ أَن يَنام.

وَجَدْتُ عِرْزالًا في الغابَة
وَجَدْتُ فيهِ كُتُبًا كَثيرَة
أَشَرْتُ إلى صورَةِ التّيرانودونِ في الكِتاب
تَمَنَّيْتُ رُؤْيَةَ تيرانودونٍ حَيّ
ذَهَبْتُ إلى زَمَنِ الدَّيْناصورات
أَشَرْتُ إلى صورَةِ بَلْدَتِنا، الشَّجْراء
تمنَّيتُ العَوْدَةَ إلى الشَّجْراء

أَعادَ شادي نَظّارَتَهُ إِلى مَكانِها. مَنْ سَيُصَدِّقُ أَيًّا مِنْ هذِهِ الأُمور؟

لَنْ تُصَدِّقَها أُمُّهُ، وَلَنْ يُصَدِّقَها أَبوه! لَنْ تُصَدِّقَها مُعَلِّمَتُهُ في الصَّفِّ الرَّابِعِ الابْتِدائِيِّ، السَّيِّدَةُ سَلْمى! وَحْدَها، أُخْتُهُ الصَّغيرَةُ عُلا، تُصَدِّقُه.

تُصَدِّقُه، لِأَنَّها كانَتْ مَعَهُ في زَمنِ الدَّيْناصورات.

– أَلا يُمْكِنُكَ أَنْ تعودَ إِلى النَّوْم؟

تَفاجَأَ شادي بِعُلا واقِفَةً في مَدْخَلِ بابِ غُرْفَتِه. فَقالَ لَها: «لا! وَيَبْدو أَنَّكِ مِثْلي.»

– ماذا تَفْعَل؟

اِقْتَرَبَتْ عُلا مِنْ سَريرِ شادي، وَنظَرَتْ إِلى دَفْتَرِه. وَبَعْدَ أَنْ قَرَأَتِ القائِمَةَ، سَأَلَتْهُ: «أَلَنْ تَكْتُبَ شَيْئًا عَنِ الوِسامِ الذَّهَبِيّ؟»

– إِنَّها ميدالِيَةٌ ذَهَبِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ وِسامًا.

الْتَقَطَ شادي قَلَمَهُ، وَكَتَبَ:

وَجَدْتُ هذِهِ في زَمَنِ الدَّيْناصورات

ثُمَّ رَسَمَ دائِرَةً.

فَقالَتْ لَهُ عُلا: «أَلَنْ تَضَعَ حَرْفَ الميم عَلى الوِسام؟»

– عَلى الميدالِيَة... الميداااالِيَة!

وَضَعَ حَرْفَ «م» في الدَّائِرَة.

سأَلَتْهُ عُلا: «أَلَنْ تَكْتُبَ شَيْئًا عَنِ المُغامِرِ السَّاحِرِ؟»

– لَسْنا مُتَأَكِّدَيْنَ مِنْ أَنَّ هُناكَ مُغامِرًا، أَكانَ ساحِرًا أَمْ لا!

– شَخْصٌ ما، بَنى ذلِكَ العِرْزالَ في الغابَة. شَخْصٌ ما، وَضَعَ تِلْكَ الكُتُبَ فيه. شَخْصٌ ما، فَقَدَ وِسامًا ذَهَبِيًّا في عَصْرِ الدَّيْناصورات.

فَقالَ لَها شادي لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَة: «ميداااالِيَة، يا فَهيمَة! ثُمَّ أَنا أَكْتُبُ حَقائِقَ عِلْمِيَّةً، لا مِثْلَ تَخَيُّلاتِكِ الوَهْمِيَّة!»

– يَجِبُ أَنْ نَعودَ إِلى العِرْزالِ الآنَ، الآن! يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ ما إِذا كان المُغامِرُ شَخْصًا حَقيقِيًّا!

– هَلْ أَنْتِ مَجْنونَة؟ فَالشَّمْسُ لَنْ تُشْرِقَ قَبْلَ ساعَتَيْنِ مِنَ الآنَ، أَوْ أَكْثَر!

قالَتْ لَهُ عُلا، مُشَجِّعَةً: «هَيَّا، فَمِنَ المُمْكِنِ أَنْ نَجِدَهُ نائِمًا هُناك.»

لَمْ يَجِدْ شادي فِكْرَةَ عُلا صائِبَةً، أَوْ آمِنَة. فَماذا لَوْ كانَ المُغامِرُ شِرِّيرًا؟ ماذا لَوْ أَنَّ المُغامِرَ، أَوِ المُغامِرَةَ، يُريدانِ إِبْقاءَ العِرْزالِ سِرًّا؟

قالَتْ لَهُ عُلا: «سَأَذْهَبُ بِمُفْرَدي، إِذًا!»



نَظَرَ شادي مِنْ نافِذَةِ غُرْفَتِهِ إِلى السَّماءِ الرَّمادِيَّةِ الدَّاكِنَة.

سَيَتَكَشَّفُ نورُ الصُّبْحِ بَعْدَ قَليل.

تَنَهَّدَ، وَقالَ لِشَقيقَتِهِ: «حَسَنًا. لِنَلْبَسْ ثِيابَنا. سَأُقابِلُكِ عِنْدَ البابِ الخَلْفِيِّ. كوني هادِئَةً جِدًّا.»

مَشَتْ عُلا إِلى خارِجِ الغُرْفَةِ عَلى رُؤوسِ أَصابِعِها. لَمْ يَصْدُرْ عَنْها أَيُّ صَوْتٍ، وَكَأَنَّها فَأْرَةٌ صَغيرَة.

اِرْتَدى شادي ثِيابَه. اخْتارَ قَميصًا سَميكًا، لِأَنَّ الطَّقْسَ الآنَ في الخارِجِ بارِدٌ. ثُمَّ وَضَعَ دَفْتَرَهُ وَقَلَمَهُ في حَقيبَتِه، وَنَزَلَ بِهُدوءٍ شَديدٍ إِلى الطّابَقِ الأَرْضِيّ.

عِنْدَما وَصَلَ إِلى البابِ الخَلْفِيِّ، كانَتْ عُلا بِانْتِظارِه.

أَضاءَتِ المِصْباحَ اليَدَوِيَّ في وَجْهِهِ، قائِلَةً بِمَرَحٍ: «هـ... ها! عَصًا سِحْرِيَّةٌ صَغيرَةٌ!»

فَقالَ لَها شادي، هامِسًا: «ششش! لا توقِظي والِدَيْنا! اِطْفِئي نورَ هذا المِصْباح! لا نُريدُ أَنْ يَرانا أَحَدٌ!»

هَزَّتْ عُلا رَأْسَها، مُوافِقَةً. ثُمَّ أَطْفَأَتِ المِصْباحَ الكَهْرَبائِيَّ، وَعَلَّقَتْهُ في حِزامِها.

تَسَلَّلا صامِتَيْنِ مِنَ الباب. كانَ هَواءُ الصُّبْحِ الباكِرِ بارِدًا، وَلا يُسْمَعُ في الحَيِّ إِلّا الصَّريرُ المُتَتابِعُ لِلصَّراصير.



نَبَحَ كَلْبُ الجيرانِ، فَقالَتْ لَهُ عُلا بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ: «أُسْكُتْ، يا بوبي!»

تَوَقَّفَ بوبي عَنِ النُّباح. فَكُلُّ الحَيَواناتِ، عَلى ما يَبْدو، تَفْعَلُ مِثْلَما تَقولُ لَها عُلا.

قالَ شادي: «لِنَرْكُضْ!»

رَكَضا بِسُرْعَةٍ عَبْرَ الحَديقَةِ، الَّتي تُغَطّيها قَطَراتُ النَّدى. وَلَمْ يَتَوَقَّفا، إِلّا عِنْدَ وُصولِهِما إِلى الغابَة.

– نَحْتاجُ الآنَ إلى مِصْباحِكِ، يا عَلُّولا!

أَخْرَجَتْ عُلا المِصْباحَ مِنْ حِزامِها، وَأَضاءَتْهُ.

سارَ الأَخَوانِ خُطْوَةً خُطْوَةً، بَيْنَ الأَشْجار. كانَ شادي حابِسًا أَنْفاسَهُ، لِأَنَّ الغابَةَ المُظْلِمَةَ مُخيفَةٌ!

فَجْأَةً، وَجَّهَتْ عُلا نورَ مِصْباحِها إِلى وَجْهِ أَخيها. «بِخْخْخْ!»

قَفَزَ شادي إِلى الوَراءِ، عابِسًا.

– ما هذِهِ السَّخافَة؟

– فَزَّعْتُك، ها؟

قالَ لَها شادي، بِجِدِّيَّةٍ: «أَوْقِفي هذِهِ الأَلاعيبَ الطُّفوليَّة!»

– إِنَّكَ جِدِّيٌّ أَكْثَرُ مِنَ اللّازِم، آسِفَة.

ثُمَّ وَجَّهَتْ نورَ مِصْباحِها نَحْوَ رُؤوس الأَشْجار.

– ماذا تَفْعَلين؟

– أَبْحَثُ عَنِ العِرْزال!

وَ... تَوَقَّفَ النُّورُ المُتَحَرِّك! فَقَدْ ظَهَرَ العِرْزالُ السِّحْرِيّ!

رَكَّزَتْ عُلا ضَوْءَها عَلى العِرْزالِ، ثُمَّ عَلى سُلَّمِ الحِبال.

تَمَسَّكَتْ بِالمِصْباحِ، وَقالَتْ: «سَأَصْعَد!»

صاحَ بِها شادي: «انْتَظِري! فَما الَّذي سَيَحْدُثُ، إِذا كانَ هُناكَ أَحَدٌ في العِرْزال!!»

لكِنَّ عُلا غابَتْ عَنِ الأَنْظار. وَاخْتَفى ضَوْءُ المِصْباح.

وَبَقِيَ شادي وَحْدَهُ... في الظَّلام!

2



يُغادِرانِ مَرَّةً أُخْرى

صَرَخَتْ عُلا مِنْ أَعْلى الشَّجَرَة: «لا يوجَدُ أَحَدٌ هُنا!»

فَكَّرَ شادي في العَوْدَةِ إلى البَيْت. لكِنَّهُ تَذَكَّرَ كُلَّ تِلْكَ الكُتُبِ في العِرْزال.

بَدَأَ يَتَسَلَّقُ السُّلَّمَ، لكِنَّهُ تَوَقَّفَ قَبْلَ الوُصولِ إلى العِرْزال.

آه، إِنَّها أَشِعَّةُ الصَّباحِ الأُولى.

دَخَلَ إلى العِرْزالِ، وَأَنْزَلَ حَقيبَتَهُ مِنْ عَلى ظَهْرِه.

أَدارَتْ عُلا نورَ مِصْباحِها إلى الكُتُبِ المُبَعْثَرَةِ في أَرْضِ العِرْزال.

– لا تَزالُ كُلُّها هُنا!

سَلَّطَتْ ضَوْءَ المِصْباحِ على كِتابِ الدَّيْناصورات... عَلى ذلِكَ الكِتابِ الَّذي أَخَذَهُما إلى عُصورِ الدَّيْناصور.

– هَلْ تَذْكُرُ التِّيرانوصورُسَ العِمْلاق؟

هَزَّ شادي كَتِفَيْه. طَبْعًا، يَتَذَكَّر! كَيْفَ يَسْتَطيعُ أَيُّ إِنْسانٍ أَنْ لا يَتَذَكَّرَ ذلِكَ التِّيراكْسَ الهائِل؟

تَحَوَّلَ ضَوْءُ المِصْباحِ إلى الكِتابِ عَنْ بَلَدِهِما، فَشاهَدَ شادي عَلامَةً حَمْراءَ مِنَ الحَريرِ بَيْنَ صَفَحاتِه.

– هَل تَذْكُرُ هذِهِ الصورَةَ عَنْ بَلْدَتِنا؟

– طَبْعًا.

فَهِيَ الصُّورَةُ ذاتُها الَّتي أَعادَتْهُما سالِمَيْنِ إلى بَيْتِهِما.

حَوَّلَتْ عُلا نورَ المِصْباحِ اليَدَوِيِّ إلى كِتابٍ آخَر... إلى كِتابٍ



عَنِ الفُرْسانِ وَالقِلاع. وَكانَتْ فيهِ عَلامَةٌ جِلْدِيَّةٌ زَرْقاءُ بَيْنَ صَفَحاتِه.

قالَتْ لِشَقيقِها: «هذا كِتابي المُفَضَّلُ!»

فَتَحَتِ الصَّفْحَةَ المُعَلَّمَةَ، فَرَأَتْ صورَةَ فارِسٍ عَلى حِصانٍ أَسْوَد. وَبَدا الفارِسُ مُنْطَلِقًا نَحْوَهُما.

صاحَ شادي: «اِغْلِقي ذلِكَ الكِتاب. إِنَّني أَعْرِفُ تَمامًا ما الَّذي تُفَكِّرينَ فيه!»

أَشارَتْ عُلا إِلى صورَةِ الفارِس.

– لا تَفْعَلي ذلِكَ، يا عُلا!

– نَتَمَنّى أَنْ نُشاهِدَ هذا الشَّخْصَ حَقيقَةً!

صاحَ شادي: «لا! لا نُريدُ ذلِك!»

... ثُمَّ سَمِعا صَوْتًا غَريبًا.

«نِيِي...هِهِهِ!»

كانَ الصَّوْتُ مِثْلَ صَهيلِ الخُيول. فَذَهَبا مَعًا إِلى النّافِذَة.

أَضاءَتْ عُلا مِصْباحَها، وَوَجَّهَتْهُ إِلى الأَرْض.

فَقالَ شادي: «لا! لا أُصَدِّق!»

وَتَمْتَمَتْ عُلا: «فَـ... فارِس!»

نَعَمْ، فارِسٌ مِنَ القُرونِ الوُسْطى. يَرْتَدي دِرْعًا حَديدِيَّةً لامِعَةً، وَيُغَطّي رَأْسَهُ بِخوذَةٍ كَبيرَة. يَرْكَبُ حِصانًا أَصيلًا، أَسْوَدَ! هُنا، في بَلْدَةِ الشَّجْراء!

بَدَأَتِ الرِّيحُ تَصْفِرُ، وَأَوْراقُ الشَّجَرِ تَهْتَزّ.

هذا ما حَدَثَ أَمْس!

صَرَخَتْ عُلا: «يَجِبُ أَنْ نُغادِرَ الآنَ! انْزِل!»



اِزدادَ صَفيرُ الرِّيحِ، وَاهْتَزَّتِ الأَغْصانُ وَالأَوْراقُ بِقُوَّةٍ أَكْبَر.

بَدَأَ العِرْزالُ يَدورُ... وَيَدورُ بِسُرْعَةٍ فائِقَة!

أَغْمَضَ شادي عَيْنَيْهِ بِقُوَّة.

ثُمَّ...! هَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ، هُدوءًا تامًّا!

فَتَحَ شادي عَيْنَيْهِ، مُرْتَجِفًا. كانَ الجَوُّ رَطِبًا وَبارِدًا.

سَمِعَ صَهيلَ الحِصانِ مَرَّةً أُخْرى.



«نيي...هِهِهِ!»

هَمَسَتْ عُلا، قائِلَةً: «أَعْتَقِدُ أَنَّنا... هُنا!»

كانَ كِتابُ القِلاعِ لا يَزالُ في يَدِها.

رَفَعَ شادي رَأْسَهُ إِلى حافَّةِ النّافِذَة. أوه! قَلْعَةٌ ضَخْمَةٌ تَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ الضَّباب!

تطَلَّعَ حَوْلَهُ، فَرَأى العِرْزالَ في شَجَرَةِ سِنْدِيانٍ مُخْتَلِفَة. وَقُرْبَ قاعِدَةِ الشَّجَرَةِ، كانَ الفارِسُ يَتَفَحَّصُ المَكان.

قالَ شادي: «لا يُمْكِنُنا البَقاءُ هُنا. يَجِبُ أَنْ نَعودَ إِلى البَيْتِ، وَأَنْ نُعِدَّ خُطَّةً لِما سَنَفْعَلُه.»

أَخَذَ الكِتابَ عَنْ بِلادِهِما، وَفَتَحَهُ حَيْثُ كانَتِ العَلامَةُ الحَريرِيَّةُ الحَمْراء. أَشارَ بِإِصْبَعِهِ إِلى صورَةِ الغابَةِ في بَلْدَةِ الشَّجْراء.

– أَتَمَنّى...

نَتَشَتْ عُلا الكِتابَ مِنْ يَدِهِ، قائِلَةً: «لا! لِنَبْقَ هُنا! أُريدُ رُؤْيَةَ القَلْعَة!»



– أَنْتِ فِعْلًا مَجْنونَة! عَلَيْنا أَنْ نَدْرُسَ الأَوْضاع. في البَيْتِ، ولَيْسَ هُنا.

– نَسْتَطيعُ أَنْ نَدْرُسَها هُنا.

مَدَّ شادي يَدَهُ، وَقالَ: «اعْطيني الكِتابَ، مِنْ فَضْلِك!»

أَعْطَتْهُ الكِتابَ، قائِلَةً: «حَسَنًا! يُمْكِنُكَ الذَّهابُ إِلى البَيْت. أَمَّا أَنا، فَباقِيَةٌ هُنا!»

ثُمَّ أَطْفَأَتِ المِصْباحَ، وَعَلَّقَتْهُ في حِزامِها.

– اِنْتَظِري!

– سَأَنزِلُ لِإِلْقاءِ نَظْرَةٍ سَريعَة! نَظْرَةٌ سَريعَةٌ، وَاللّهِ!

تَأَوَّهَ شادي! أوه، حَسَنًا! فازَتْ عَلَيْهِ، لكِنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَعودَ مِنْ دونِها. أَضِفْ إِلى ذلِكَ، أَنَّهُ... هُوَ أَيْضًا... يُريدُ إِلْقاءَ نَظْرَة!

وَضَعَ كِتابَ بِلادِهِما عَلى أَرْضِ العِرْزال. ثُمَّ وَضَعَ كِتابَ القِلاعِ في حَقيبَتِه.

وَنَزَلَ عَلى السُّلَّمِ، إِلى الجَوِّ البارِدِ الضَّبابِيِّ.

3



المُرورُ عَلى الجِسْر

كانَتْ عُلا واقِفَةً قُرْبَ الشَّجَرَة، تَتَفَحَّصُ تِلْكَ المِنْطَقَةَ الَّتي يُغَطّيها الضَّباب.

– أَعتَقِدُ أَنَّ الفارِسَ يَتَوَجَّهُ إِلى ذلِكَ الجِسْرِ، وَأَنَّ الجِسْرَ يَصِلُ إِلى بَوّابَةِ القَلْعَة.

فَقالَ شادي: «انْتَظِري قَليلًا. سَأَبْحَثُ عَنْهُ في الكِتاب. اعْطيني المِصْباحَ الكَهْرَبائِيّ!»

أَخَذَ المِصْباحَ مِنْ أُخْتِه، وَأَخْرَجَ كِتابَ القِلاعِ مِنْ حَقيبَتِه. ثُمَّ فَتَحَهُ عَلى الصَّفْحَةِ الَّتي توجَدُ عِنْدَها عَلامَةٌ جِلْدِيَّة. قَرَأَ شادي الكَلِماتِ المَكْتوبَةَ تَحْتَ صورَةِ الفارِس:

هذا فارِسٌ مَدْعُوٌّ إلى وَليمَةٍ في القَلْعَة.
كانَ الفُرْسانُ يَرْتَدونَ دُروعًا حَديدِيَّةً،
عِنْدَما يَقْطَعونَ مَسافاتٍ طَويلَةً وَخَطِرَة.
وَكانَتِ الدُّروعُ ثَقيلَةً جِدًّا. فَوَزْنُ الخوذَةِ
وَحْدَها قَدْ يَصِلُ إلى 18 كيلوچْرامًا.

واوْوو! كانَ وَزْنُ شادي، في عامِهِ الخامِسِ، 18 كيلوچْرامًا! مَعْنى ذلِكَ أَنَّ الفارِسَ يَرْكَبُ حِصانَهُ، وَكَأَنَّهُ يَضَعُ عَلى رَأْسِهِ صَبِيًّا في الخامِسَةِ مِنْ عُمْرِهِ!

سَحَبَ شادي دَفْتَرَهُ وَقَلَمَهُ مِنَ الحَقيبَة.

فَهُوَ يُريدُ تَدْوينَ مُلاحَظاتٍ عِلْمِيَّةٍ، كَما فَعَلَ في رِحْلَةِ الدَّيْناصورات.

كَتَبَ مُلاحَظَتَهُ الأُولى:

رَأْسٌ قَوِيٌّ جِدًّا

بَدَأَ شادي يُقَلِّبُ صَفَحاتِ الكِتابِ عَنِ القِلاع. فَوَجَدَ صورَةَ القَلْعَةِ كُلِّها، وَالمَباني حَوْلَها.

قالَتْ لَهُ عُلا: «الفارِسُ يَعْبُرُ الجِسْرَ... يَدْخُلُ عَبْرَ البَوّابَةِ الكَبيرَة. لَمْ أَعُدْ أَراه.»

دَرَسَ شادي الجِسْرَ في الصُّورَةِ، وَقَرَأَ:

جِسْرٌ مُتَحَرِّكٌ فَوْقَ خَنْدَقٍ يُحيطُ بِالقَلْعَة.
يُمْلَأُ الخَنْدَقُ بِالماءِ، لِحِمايَةِ القَلْعَةِ مِنَ الأَعْداء.
وَيَعْتَقِدُ بَعْضُ النّاسِ أَنَّ في مِياهِ الخَنْدَقِ
تَماسيحَ كَبيرَةً.

فَكَتَبَ شادي في دَفْتَرِهِ:

تَماسيحُ في الخَنْدَقِ المائِيّ؟

قالَتْ لَهُ عُلا: «هَلْ تَسْمَعُ أَصْواتَ الطُّبولِ وَالأَبْواق؟ إِنَّها آتِيَةٌ مِنَ القَلْعَة. هَيّا، أُريدُ أَنْ أَرى ما يَحْدُثُ هُناك.»



طَلَبَ مِنْها شادي أَنْ تَتَمَهَّلَ، وَأَشارَ إِلى صورَةِ وَليمَة: «يَقولُ الكِ... »

– لا يُهِمُّني ما يَقولُهُ الكِتاب. أَنا ذاهِبَةٌ الآنَ إِلى الوَليمَةِ الحَقيقِيَّة!

– انتَظِري!

أوه، أَيْنَ هِيَ؟ ها قَدِ اخْتَفَتْ، كَما حَدَثَ في المَرَّةِ السَّابِقَة.

خَفَّ الضَّبابُ الصَّباحِيُّ قليلًا، فَرأى شادي الخَنْدَقَ الحَقيقِيّ.

وَرأى عُلا تَعْبُرُ بِسُرْعَةٍ ذلِكَ الجِسْرَ المُتَحَرِّكَ الحَقيقِيّ.

ثُمَّ اخْتَفَتْ عَبْرَ البَوَّابَةِ، المُؤَدِّيَةِ إِلى داخِلِ القَلْعَة.

4



إِلى داخِلِ القَلْعَة

تَمْتَمَ شادي، بِعَصَبِيَّةٍ: «سَأُعَلِّمُها دَرْسًا لَنْ تَنْساهُ في حَياتِها!»

وَضَعَ كُلَّ ما مَعَهُ في حَقيبَتِهِ، وَسارَ نَحْوَ الجِسْرِ المُتَحَرِّك.

كانَ كُلُّ هَمِّهِ أَنْ لا يَراهُ أَحَد.

بَدَأَ الظَّلامُ يُخَيِّم. إِنَّهُ، إِذًا، أَوَّلُ اللَّيْلِ هُنا!

وَصَلَ إِلى الجِسْرِ، وَبَدَأَ يَعْبُرُه. سَمِعَ صَريرَ الأَلْواحِ الخَشَبِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْه.

وَقَفَ عَلى الحافَّةِ، وَنَظَرَ إِلى الخَنْدَق. هَلْ فيهِ تَماسيحُ، كَما يَقولون؟ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُشاهِدَ شَيْئًا، بِسَبَبِ الظَّلام.

صاحَ بِهِ أَحَدُهُم مِنْ أَعْلى القَلْعَةِ، آمِرًا: «قِفْ!»



كَرَّرَ الحارِسُ أَمْرَهُ بِالتَّوَقُّفِ، لكِنَّ شادي قَطَعَ الجِسْرَ بِسُرْعَة. رَكَضَ عَبْرَ البَوَّابَةِ، وَدَخَلَ إِلى الباحَةِ الرَّئيسِيَّة. مِنْ داخِلِ القَلْعَةِ، سَمِعَ شادي بِوُضوحٍ أَصْواتَ الموسيقى... وَالضَّحِك.

أَسْرَعَ إِلى أَقْرَبِ زاوِيَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَقَرْفَصَ مُخْتَبِئًا. كانَ يَرْتَجِفُ خَوْفًا، لكِنَّهُ مُصَمِّمٌ عَلى إيجادِ أُخْتِهِ وَإِنْقاذِها.

كانَتِ السّاحَةُ فارِغَةً تَقْريبًا، وَجُدْرانُها مُضاءَةٌ بِالمَشاعِلِ. مَرَّ صَبِيّانِ أَمامَهُ، يَقودانِ حِصانَيْنِ إِلى الإِسْطَبْل.

«نيه... هِههِ!»

اِسْتَدارَ شادي. إِنَّهُ الحِصانُ الأَسْوَدُ لِذلِكَ الفارِسِ الغامِض.

– پْسْتْ! پْسْتْ!

حَدَّقَ في الظَّلامِ، فَرَأى عُلا. كانَتْ مُخْتَبِئَةً وَراء قُبَّةِ البِئْرِ في وَسَطِ الباحَةِ، تُلَوِّحُ لَهُ بِيَدِها.

لَوَّحَ لَها شادي بِيَدَيْه، مَسْرورًا لِرُؤْيَتِها. وَانْتَظَرَ الاِثْنانِ إِلى أَنِ اخْتَفى الصَّبِيّانِ وَالحِصانانِ داخِلَ الإِسْطَبْل. عِنْدَئِذٍ، رَكَضَ شادي إِلى البِئْر.



قالَتْ لَهُ عُلا، هامِسَةً: «سَأَذْهَبُ لِمَعْرِفَةِ مَصْدَرِ الموسيقى. هَلْ سَتَأْتي مَعي؟»

تَنَهَّدَ شادي، وَهَزَّ رَأْسَهُ مُوافِقًا.

سارا عَلى رُؤوسِ أَصابِعِهِما، وَعَبَرا السَّاحَةَ المَرْصوفَةَ بِالحَصى. ثُمَّ تَسَلَّلا إِلى مَدْخَلِ القَلْعَة.

كانَتِ الموسيقى وَالضَّجَّةُ آتِيَتَيْنِ مِنْ قاعَةٍ أَمامَهُما. وَقَفا عَلى الجانِبِ الأَيْمَنِ لِلْبابِ، وَاسْتَرَقا النَّظَرَ إِلى الدَّاخِل.

حَبَسَ شادي أَنْفاسَهُ، مُنْبَهِرًا بِما رَآه. وَقالَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ: «تُقامُ المَأْدُبَةُ في القاعَةِ الكُبْرى!»

في إِحْدى زَوايا القاعَةِ، مَوْقِدٌ حَجَرِيٌّ تَتَوَهَّجُ فيهِ نارُ التَّدْفِئَة. عَلى الجُدْرانِ، عُلِّقَتْ قُرونُ غِزْلانٍ وَبُسُطٌ مُلَوَّنَة. وَعَلى الأَرْضِ المُغَطَّاةِ بِالزُّهورِ، صِبْيانٌ يَرْتَدونَ سَراويلَ قَصيرَةً... يَتَنَقَّلونَ حامِلينَ صينِيَّاتٍ كَبيرَةً لِلْمَأْكولات.

كانَ الحاضِرونَ يَأْكُلونَ اللَّحْمَ، وَيَرْمونَ العِظامَ تَحْتَ الطَّاوِلات. فَتَتَعارَكُ كِلابُهُم عَلَيْها!

أَمامَ الطَّاوِلاتِ، أَشْخاصٌ يَرْتَدونَ ثِيابًا بَرَّاقَةً... وَقُبَّعاتٍ مُضْحِكَة. ثَلاثَةٌ يَعْزِفونَ عَلى جيتاراتٍ غَريبَةِ الشَّكْل. أَرْبَعَةٌ آخَرونَ يَقومونَ بِأَلْعابٍ بَهْلَوانِيَّةٍ، بِالكُراتِ وَالسُّيوف.

رِجالٌ وَنِساءٌ يَلْبَسونَ مَعاطِفَ مِنَ الصُّوفِ وَالفَرْوِ، يَجْلِسونَ حَوْلَ طاوِلاتٍ خَشَبِيَّةٍ مُكْتَظَّة.

قالَ شادي: «أَيْنَ الفارِسُ، يا تُرى؟»

فَأَجابَتْ عُلا، هامِسَةً: «لا أَدْري. لكِنْ، اُنْظُرْ إِلَيْهِمْ كَيْفَ يَأْكُلونَ بِأَصابِعِهِم!»

فَجْأَةً، صَرَخَ رَجُلٌ وَراءَهُما.

اِسْتَدارَ شادي، فَرَأى رَجُلًا عَلى بُعْدِ أَرْبَعِ خُطُواتٍ مِنْهُما.



سَأَلَهُما الرَّجُلُ بِغَضَبٍ: «مَنْ أَنْتُما؟»

– ش... ش... شادي!

– عُ... عُ... عُلا!

ثُمَّ رَكَضا بِأَقْصى سُرْعَتِهِما، في المَمَرِّ ذي الإِضاءَةِ الضَّعيفَة.



5

مُحاصَران

صَرَخَتْ عُلا: «أَسْرِع!»

فَأَسْرَعَ شادي وَراءَها، وَهُوَ لا يَعْلَمُ إِذا كانَ أَحَدٌ يُلاحِقُهُما.

هُرِعَتْ عُلا نَحْوَ أَحَدِ الأَبْوابِ الجانِبِيَّةِ، وَصاحَتْ بِأَخيها أَنْ يَتْبَعَها. فَتَحَتِ الباب، وَانْدَفَعَ الاِثْنانِ إِلى غُرْفَةٍ مُظْلِمَةٍ بارِدَة.

– اِعْطِني المِصْباحَ حالًا.

أَعْطاها شادي المِصْباحَ، فَأَضاءَتْهُ.

يَخْ! مَجْموعَةٌ مِنَ الفُرْسانِ أَمامَهُما مُباشَرَةً!

أَطْفَأَتْ عُلا المِصْباحَ، فَلَمْ تَسْمَعْ أَيَّ حَرَكَة.



قالَ شادي، هامِسًا وَمُتَلَعْثِمًا: «إِنَّ... إِنَّهُم لا... لا يَتَحَرَّكون!»
أَضاءَتْ عُلا المِصْباحَ مَرَّةً أُخْرى، فَقالَ شادي: «إِنَّها مُجَرَّدُ دُروعٍ حَديدِيَّة.»

– وَمِنْ دونِ رُؤوسٍ!

فَقالَ شادي: «اِعْطيني المِصْباحَ لَحْظَةً، كَيْ أَتَفَحَّصَ الكِتاب.»

أَعْطَتْهُ عُلا المِصْباحَ، فَأَخْرَجَ كِتابَ القِلاعِ مِنَ الحَقيبَة.

قَلَّبَ شادي الصَّفَحاتِ، إِلى أَنْ وَصَلَ إِلى ما يُريدُ الوُصولَ إِلَيْه.

وَضَعَ الكِتابَ جانِبًا، وَقالَ: «تُسَمَّى هذِهِ الغُرْفَةُ مُسْتَوْدَعًا. هُنا تُخْزَنُ الدُّروعُ وَالأَسْلِحَة.»

أَدارَ ضَوْءَ المِصْباحِ في أَنْحاءِ الغُرْفَةِ، وَتَنَهَّدَ بِاسْتِغْرابٍ وَإِعْجابٍ: «أووووه!»

دُروعٌ لَمّاعَةٌ لِلصَّدْرِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَالذِّراعَيْن. رُفوفٌ مُمْتَلِئَةٌ بِالْخُوَذِ وَأَنْواعٍ عَديدَةٍ مِنَ الأَسْلِحَة. تُروسٌ، رِماحٌ، سُيوف. عِصِيٌّ غَليظَةٌ، فُؤوسُ قِتالٍ، نَشّابِيّاتٌ لإِطْلاقِ السِّهامِ وَالقَذائِف...

فَجْأَةً، حَدَثَتْ ضَجَّةٌ في القاعَةِ، وَعَلَتِ الأَصْوات!

فَقالَتْ عُلا لِأَخيها إِنَّ عَلَيْهِما الاخْتِباءَ فَوْرًا. فَوْرًا!

– اِنْتَظِري. عَلَيَّ أَوَّلًا أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ أَمْرٍ ما.

– أَسْرِع!

– ثانِيَةٌ واحِدَة!

أَعْطى شادي أُخْتَهُ المِصْباحَ، طالِبًا مِنْها تَوْجيهَهُ إِلى يَسارِهِما.

حاوَلَ رَفْعَ خوذَةٍ عَنْ أَحَدِ الرُّفوفِ، لكِنَّها كانَتْ ثَقيلَةً جِدًّا. اِنْحَنى شادي إِلى الأَمامِ، وَجَذَبَ الخوذَةَ فَوْقَ رَأْسِه. اِنْغَلَقَ مُقَدَّمُ الخوذَةِ المُتَحَرِّكُ، وَغَطّى وَجْهَه.

أوه، إِنَّها أَسْوَأُ بِكَثيرٍ مِنْ حَمْلِ صَبِيٍّ في الخامِسَةِ مِنْ عُمْرِهِ عَلى رَأْسِك! إِنَّها مِثْلُ صَبِيٍّ في العاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ عَلى رَأْسِك!

لَمْ يَسْتَطِعْ شادي أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ حَتّى أَنْ يَرى شَيْئًا.

نادَتْهُ عُلا، فَشَعَرَ أَنَّ صَوْتَها بَعيدٌ جِدًّا.

– الأَصْواتُ تَقْتَرِبُ، يا شادي!

– اِطْفِئي المِصْباحَ فَوْرًا!

تَرَدَّدَ صَدى صَوْتِهِ بِقُوَّةٍ، داخِلَ ذلِكَ الفَراغِ الحَديدِيّ.

حاوَلَ جاهِدًا نَزْعَ الخوذَةِ عَنْ رَأْسِه.

فَجْأَةً، فَقَدَ تَوازُنَهُ، وَارْتَطَمَ بِدِرْعٍ قَريبَةٍ مِنْهُ. فَوَقَعَتْ دُروعٌ وَأَسْلِحَةٌ عَديدَةٌ، مُحْدِثَةً قَعْقَعَةً عالِيَة.

حاوَلَ شادي النُّهوضَ في تِلْكَ الحُجْرَةِ المُظْلِمَة. لكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، بِسَبَبِ ثِقْلِ الخوذَة.

سَمِعَ أَصْواتًا ذاتَ نَبْرَةٍ عالِيَة. أَمْسَكَ شَخْصٌ بِذِراعِهِ، وَرَفَعَهُ عَنِ الأَرْض. وَفي لَحْظَةٍ، رُفِعَتِ الخوذَةُ عَنْ رَأْسِه.

فَوَجَدَ شادي نَفْسَهُ يُحَدِّقُ في ضَوْءٍ ساطِعٍ... في ضَوْءِ مِشْعَلٍ قَوِيِّ اللَّهَب!

6



هَـ... ها!

عَلى ضَوْءِ المِشْعَلِ المُتَوَهِّجِ، رَأى شادي ثَلاثَةَ رِجالٍ عَمالِقَة.

الأَحْوَلُ يَحْمِلُ المِشْعَل. ذو الشَّارِبِ الكَثيفِ يَحْمِلُ عُلا. صاحِبُ الوَجْهِ الأَحْمَرِ يَتَمَسَّكُ بِذِراعِ شادي.

رَكَلَتْ عُلا صاحِبَ الشَّارِبِ الكَثيفِ، وَبَدَأَتْ تَصيح.

فَصَرَخَ بِها أَبو شَنَبٍ، قائِلًا: «تَوَقَّفي!»

سَأَلَهُما الأَحْمَرُ: «مَنْ أَنْتُما؟»

وَأَكْمَلَ الأَحْوَلُ السُّؤالَ، قائِلًا: «جاسوسانِ؟ أَجْنَبِيَّانِ؟ مِنْ بِلادِ الواقْ واقْ؟»

فَقالَتْ عُلا: «لا، أَيُّها الأَغْبِياء!»

تَمْتَمَ شادي: «يا وَيْلاه، ما الَّذي فَعَلْتُهُ الآنَ؟»

قالَ الأَحْمَرُ، آمِرًا: «اِعْتَقِلوهُما!»

وَقالَ الأَحْوَلُ: «إِلى الزِّنْزانَةِ فَوْرًا!»

خَرَجَ ثَلاثَةُ حُرَّاسٍ مِنْ حُجْرَةِ الدُّروعِ وَالأَسْلِحَةِ، وَساروا بِخُطًى عَسْكَرِيَّةٍ نَحْوَ عُلا وَشادي.

تَطَلَّعَ شادي حَوْلَهُ بِعَصَبِيَّةٍ شَديدَة. أَيْنَ هِيَ حَقيبَتُهُ الآنَ؟

دَفَعَهُ حارِسٌ إِلى الأَمامِ: «إِمْشِ!»

سارَ الجَميعُ نُزولًا في المَمَرِّ الطَّويلِ المُظْلِم. ثُمَّ نَزَلوا عَلى دَرَجٍ ضَيِّقٍ... مُتَعَرِّج.

سَمِعَ شادي أُخْتَهُ تَصْرُخُ بِالحُرَّاسِ: «أَغْبِياء! سُخَفاء! لِئام...!»

وَاخْتَفى صَوْتُها بَيْنَ ضَحِكاتِ الحُرَّاسِ الرَّجْراجَة!



في نِهايةِ الدَّرَجِ، رَأى شادي بابًا حَديدِيًّا كَبيرًا. وَمِنْ جانِبٍ إِلى جانِبٍ، عارِضَةٌ خَشَبِيَّةٌ لِإِغْلاقِهِ.

رَفَعَ أَبو شَنَبٍ تِلْكَ العارِضَةَ. وَعِنْدَما فَتَحَ البابَ بِصُعوبَةٍ، سُمِعَ صَريرٌ قَوِيٌّ.

دَفَعَ الحُرَّاسُ الأَخَوَيْنِ إِلى داخِلِ حُجْرَةٍ صَغيرَةٍ رَطبَة.

عَلى ضَوْءِ المِشْعَلِ، بَدَتِ الزِّنْزانَةُ مُخيفَةً جِدًّا. سَلاسِلُ حَديدِيَّةٌ مُعَلَّقَةٌ عَلى جُدْرانٍ قَذِرَة. مِياهٌ تَتَساقَطُ مِنَ السَّقْفِ، وَتُكَوِّنُ بِرَكًا صَغيرَةً عَلى الأَرْض.

إِنَّهُ أَكْثَرُ مَكانٍ مُقْرِفٍ شاهَدَهُ شادي في حَياتِه!

قالَ الأَحْوَلُ: «نَتْرُكُهُما لِما بَعْدَ انتِهاءِ الوَليمَةِ، ثُمَّ نُسَلِّمُهُما إِلى الوالي. فَهُوَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَعامَلُ مَعَ اللُّصوص!»

وَقالَ أَبو شَنَبٍ: «سَيُعَلَّقُ حَبْلُ المِشْنَقَةِ غَدًا، وَ...»

فَقاطَعَهُ الأَحْمَرُ، قائِلًا: «ما لَمْ تَسْبِقْنا إِلَيْهِما الجُرْذانُ الجائِعَة.»

...وَضَحِكَ العَمالِقَةُ الثَّلاثَةُ بِصَوْتٍ مُرْعِبٍ، عالٍ.

اِنْتَبَهَ شادي إِلى أَنَّ حَقيبَتَهُ مَوْجودَةٌ مَعَ عُلا، الَّتي كانَتْ تَفْتَحُها بِكُلِّ هُدوء.

قالَ الأَحْوَلُ لِلحُرَّاسِ، آمِرًا: «قَيِّدوهُما بِالسَّلاسِل!»

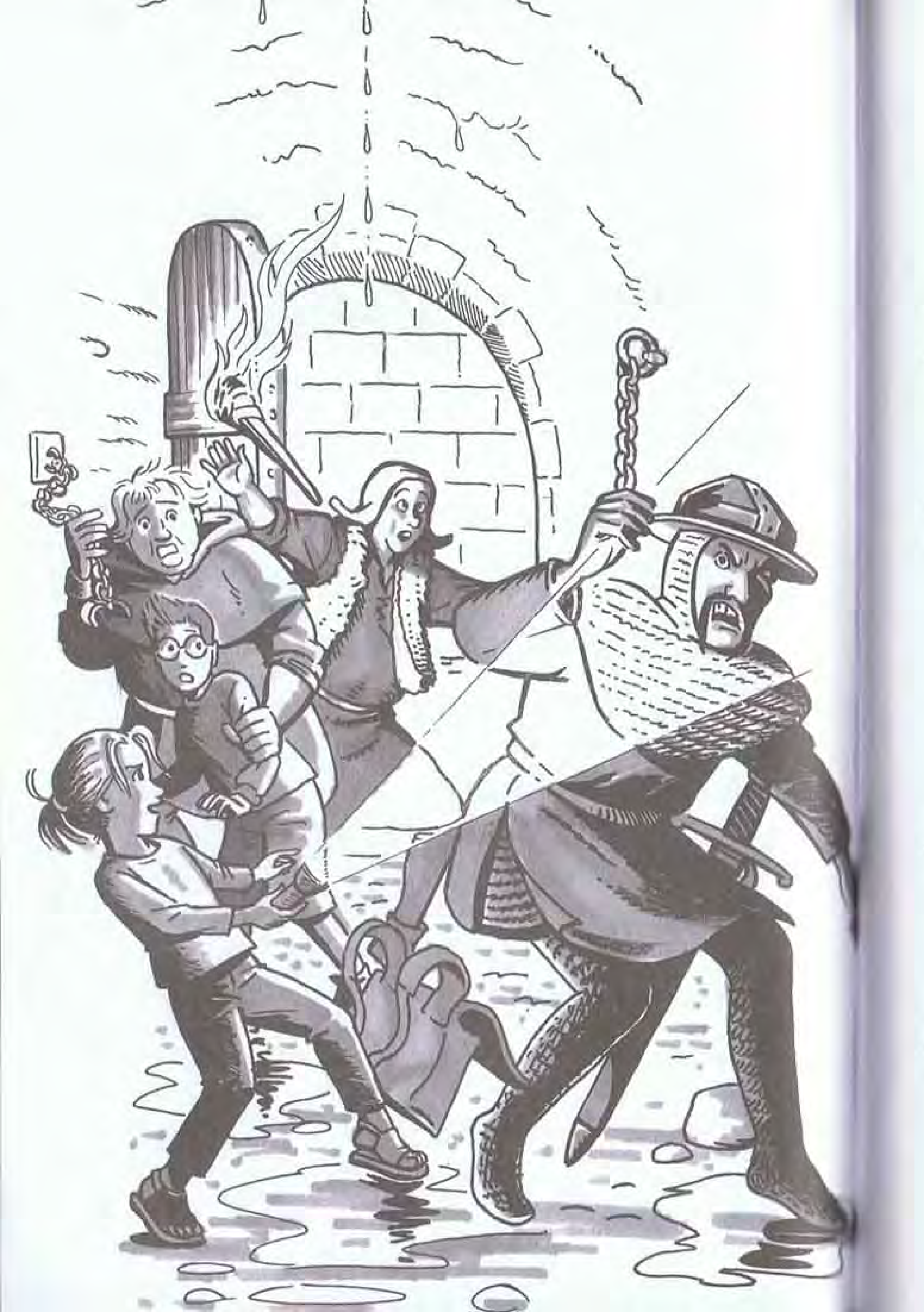
اِقْتَرَبَ الحُرَّاسُ مِنَ الصَّغيرَيْن. أَخْرَجَتْ عُلا مِصْباحَها مِنَ الحَقيبَةِ، وَصَرَخَتْ: «هـ... ها!»

تَجَمَّدَ الحُرَّاسُ في أَماكِنِهِمْ، وَحَدَّقوا في ذٰلِكَ **السِّلاحِ** العَجيب!

أَضاءَتْ عُلا **المِشْعَلَ** الكَهْرَبائِيَّ، وَسَلَّطَتْهُ عَلى وُجوهِهِم. فَشَهِقَ الحُرَّاسُ خَوْفًا، وَقَفَزوا إِلى الوَراء.

وَقَعَ المِشْعَلُ مِنْ يَدِ الأَحْوَلِ، فَسَقَطَ في إِحْدى بِرَكِ الماءِ الصَّغيرَة... وَانْطَفَأ!

حَرَّكَتْ عُلا ضَوْءَ مِصْباحِها عَلى وُجوهِ الرِّجالِ العَمالِقَةِ، قائِلَةً: «هٰذِهِ عَصايَ السِّحْرِيَّةُ، فَاسْمَعوا! تَراجَعوا إِلى الوَراءِ حالًا، وَإِلَّا...!»



طارَ عَقْلُ شادي، دَهْشَةً وَاسْتِغْرابًا.

ماذا تَفْعَلُ هذِهِ المَجْنونَة؟

وَجَّهَتْ عُلا ضَوْءَ المِصْباحِ بِشَراسَةٍ نَحْوَ أَحَدِ الحُرَّاس. وَمِنْهُ إِلى الثّاني، فَالثّالِث. وَكانَ كُلٌّ مِنْهُم يُغَطّي وَجْهَهُ خَوْفًا.

صاحَتْ بِهِم عُلا: «اِرْكَعوا! كُلُّكُم! اِرْكَعوا، وَإِلّا فَسَأُحَوِّلُكُمْ إِلى جُرْذان!»

رَكَعَ الحُرَّاسُ، واحِدًا بَعْدَ الآخَرِ، عَلى الأَرْضِ الرَّطِبَة.

لَمْ يُصَدِّقْ شادي عَيْنَيْه.

قالَتْ لَهُ عُلا: «هَيّا! يَجِبُ أَنْ نَذْهَبَ فَوْرًا.»

نَظَرَ شادي إِلى البابِ المَفْتوحِ، وَإِلى الحُرَّاسِ المُرْتَجِفينَ خَوْفًا.

– أَسْرِعْ، يا شَدْشود!

بِقَفْزَةٍ سَريعَةٍ واحِدَةٍ، لَحِقَ شادي بِأُخْتِهِ... إِلى خارِجِ تِلْكَ الزِّنْزانَةِ الرَّهيبَة.

7

مَمَرٌّ خَفِيّ

رَكَضَ الأَخوانِ بِأَقْصى سُرْعَتِهِما، عائِدَيْنِ عَلى الدَّرَجِ المُتَعَرِّجِ وَالمَدْخَلِ الطَّويل.

لَمْ يَقْطَعا مَسافَةً تُذْكَرُ، عِنْدَما سَمِعا صُراخًا وَراءَهُما. وَسَمِعا نُباحًا حادًّا، آتِيًا مِنْ مَكانٍ بَعيد.

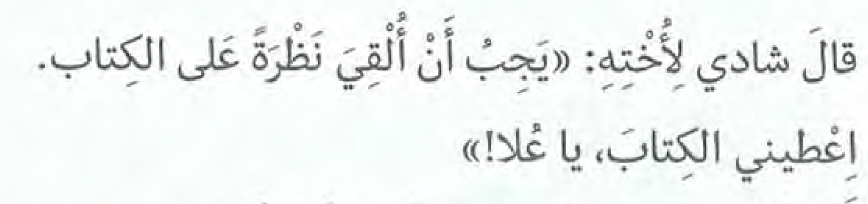
صاحَتْ عُلا: «إِنَّهُم آتون!»

فَتَحَ شادي بابًا في المَدْخَلِ، وَدَفَعَ أُخْتَهُ إِلى داخِلِ غُرْفَةٍ مُظْلِمَة.

ثُمَّ أَغْلَقَ البابَ بِسُرْعَة. فَأَضاءَتْ عُلا مِصْباحَها، وَتَفَحَّصَتْ أَنْحاءَ الغُرْفَة.

صُفوفٌ وَصُفوفٌ مِنَ الأَكْياسِ، وَأَيْضًا مِنَ الجِرارِ الفَخّارِيَّة.

قالَ شادي لِأُخْتِهِ: «يَجِبُ أَنْ أُلْقِيَ نَظْرَةً عَلى الكِتاب.
اِعْطيني الكِتابَ، يا عُلا!»
أَعْطَتْهُ عُلا المِصْباحَ وَالحَقيبَةَ، وَقالَتْ لَهُ
هَمْسًا: «ششش! هُناكَ شَخْصٌ آتٍ!»



قَفَزَ الاِثْنانِ وَراءَ البابِ، الَّذي سُمِعَ صَريرُ فَتْحِهِ مِنْ بَعيد.
حَبَسَ شادي أَنْفاسَهُ.
تَراقَصَ ضَوْءُ المِشْعَلِ فَوْقَ الأَكْياسِ وَالجِرار.
... ثُمَّ اخْتَفى الضَّوْءُ، وَأُغْلِقَ البابُ بِقُوَّة.
فَقالَ شادي لِأُخْتِهِ، بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ جِدًّا: «يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ، لِأَنَّهُمْ قَدْ يَأْتونَ في أَيِّ وَقْت.»
بَدَأَ يُقَلِّبُ الصَّفَحاتِ في كِتابِ القِلاعِ، بِسُرْعَة. كانَتْ يَداهُ تَرْتَجِفان.
– هذِهِ خَريطَةُ القَلْعَة! وَهذِهِ هِيَ الغُرْفَةُ الَّتي نَحْنُ فيها الآن. إِنَّها غُرْفَةُ خَزْنِ المُؤَن.
تَفَحَّصَ شادي صورَةَ المَخْزَنِ جَيِّدًا.
– هذِهِ أَكْياسُ الطَّحينِ وَالحُبوب. وَهذِهِ جِرارُ الزَّيْتِ وَالـ...

– دَعْكَ مِنَ التَّفاصيلِ الَّتي لا تَنْفَعُنا. يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ قَبْلَ أَنْ يَعودوا.

– هَيَّا! سَنَصْعَدُ إِلى ذاكَ السُّورِ عَبْرَ هذا المَمَرِّ الضَّيِّقِ!

– نَصْعَدُ إِلى السُّورِ؟ أَنْتَ مَجْنونٌ! إِذا أَمْسَكَ الْحُرَّاسُ بِنا، فَسَيُعيدونَنا إِلى تِلْكَ الزِّنْزانَةِ الْمُقْرِفَةِ!

– لا تَقْلَقي، يا عَلُّولا! اِتْبَعيني.

أَغْلَقَ شادي الْكِتابَ، وَوَضَعَهُ في حَقيبَتِهِ. ثُمَّ حَمَلَ الْحَقيبَةَ عَلى ظَهْرِهِ، وَفَتَحَ الْبابَ بِحَذَرٍ.

– لا أَرى أَحَدًا! تَعالَيْ، هَيَّا بِنا!

وَراحَ شادي وَعُلا يَرْكُضانِ عَلى الدَّرَجِ الْحَلَزونِيِّ.



تَعَثَّرَتْ عُلا في الظَّلامِ، فَتَأَفَّفَتْ قائِلَةً: «لا أَرى شيئًا في هذِهِ الظُّلْمَةِ! سَأُضيءُ المِصْباحَ!»

كانَ الضَّوْءُ عَلى الدَّرَجاتِ أَمامَها... خافِتًا جِدًّا.

– يا لَلْمُصيبَةِ!! اَلْبَطَّارِيَّاتُ تَموتُ!

وَأَضافَتْ عُلا، لاهِثَةً: «الدَّرَجُ عالٍ جِدًّا! هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ...»

– شْشْش! سَنَصِلُ بَعْدَ طابَقٍ واحِدٍ فَقَط.

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، انْطَفَأَ ضَوْءُ المِصْباحِ الكَهْرَبائِيِّ. وَنَفَخَ في الدَّرَجِ هَواءٌ مُصْقِعٌ، فَارْتَجَفا مِنَ البَرْد.

تَلَمَّسا طَريقَهُما في الظُّلْمَةِ عَلى الدَّرَجاتِ الأَخيرَةِ المُتَبَقِّيَة. فَجْأَةً، بَدَتْ أَمامَهُما نُجومٌ في السَّماءِ عَبْرَ بابٍ في الجِدار!

أَخْرَجَ شادي وَعُلا رَأْسَيْهِما مِنَ الباب. آه، لَقَدْ وَصَلا إِلى السُّور. أَنْصَتا جَيِّدًا. كانَ الهُدوءُ تامًّا، فَخَرَجا عَلى رُؤوسِ أَصابِعِهِما.

لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَحَدٌ عَلى الإِطْلاق.

قالَتْ عُلا: «وَالآنَ، يا مُتَذاكي، كَيْفَ سَنَهْرُبُ مِنْ هُنا؟»

– أَمْرٌ سَهْلٌ جِدًّا. سَنَنْزِل!

– إِذا كُنَّا سَنَنْزِلُ، فَلِماذا صَعِدْنا كُلَّ هذِهِ الْمَسافَةِ أَصْلًا؟

ضَحِكَ شادي بِصَوْتٍ خافِتٍ، وَقالَ: «لِأَنَّني قَرَأْتُ في الكِتابِ مَعْلومَةً هامَّةً جِدًّا!»

نَظَرَ حَوْلَهُ، ثُمَّ أَشارَ إِلى فُتْحَةٍ في السُّورِ عَلى بُعْدِ خُطُواتٍ مِنْهُما.

– عَظيم! هذا هُوَ الْمَمَرُّ الَّذي سَنَهْرُبُ عَبْرَهُ.

ثُمَّ رَدَّدَ جُمْلَةً حَفِظَها مِنَ الْكِتاب:

كانَ الْمحاصَرونَ يَهْرُبونَ
عَبْرَ فُتْحاتٍ في السُّورِ، تُسَمَّى «مَزالِقَ»
وَتُؤَدّي إِلى الخَنْدَق.



كَرَّرَتْ عُلا الكَلِمَةَ، مُشَكِّكَةً: «مَزالِق؟ ما هِيَ المَزالِق؟»

– المَزْلَقَةُ هِيَ الَّتي نَجْلِسُ عَلَيْها، فَنَنْزَلِقُ مِنْ أَعْلى إِلى أَسْفَل.

– أُفَضِّلُ أَنْ نَعودَ عَبْرَ الباحَة!

لكِنَّ صَدى وَقْعِ أَقْدامٍ عَلى الدَّرَجِ راحَ يَتَرَدَّدُ وَراءَهُما. فَقَدِ اكْتَشَفَ الحُرَّاسُ مَكانَهُما، وَبَدَأُوا يَقْتَرِبونَ مِنْهُما أَكْثَرَ فَأَكْثَر!

– أَسْرِعي، يا عُلا!

عَدَّلَ شادي الحَقيبَةَ عَلى ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِيَدِ أُخْتِهِ وَجَرَّها نَحْوَ الفُتْحَة.

– هَيَّا، سَأَكونُ وَراءَكِ مُباشَرَةً!

– وَلكِنْ، يا شادي...

قَبْلَ أَنْ تُنْهِيَ عُلا جُمْلَتَها، سَمِعَتْ صَوْتًا مُرْعِبًا: «لَقَدْ وَجَدْناهُما! ها أَنْتُما، أَيُّها السَّارِقانِ التَّافِهان!»

عِنْدَها، لَمْ تَعُدْ عُلا مُتَرَدِّدَة. أَغْمَضَتْ عَيْنَيْها، وَقَفَزَتْ في الفُتْحَة.

انْزَلَقَتْ... وَانْزَلَقَت. شَعَرَتْ بِأَنَّ هذا الانْزِلاقَ لَنْ يَنْتَهِيَ أَبَدًا. ثُمَّ سَمِعَتْ شادي يَصْرُخُ وَراءَها.

فَجْأَةً، سَقَطَتْ....

طِشْشْش...!!

8

الفارِس

مَلأَ الماءُ أَنْفَ شادي، وَغَطَّى رَأْسَهُ. وَقَعَتْ نَظّارَتُهُ عَنْ عَيْنَيْهِ، لكِنَّهُ أَمْسَكَ بِها قَبْلَ أَنْ تَغْرَقَ في الماء. سَعَلَ مَرّاتٍ عَديدَةً، فيما كانَتْ يَداهُ تَخْبِطانِ على سَطْحِ الماء.

نادَتْهُ عُلا مِنَ النَّفَقِ العالي: «شادي!»

– إِنَّ... إِنَّني في الخَنْـ... دَقِ المائِيّ!

كانَ شادي يَلْهَثُ، مُحاوِلًا اسْتِنْشاقَ الهواء. وَضَعَ نَظّارَتَهُ على عَيْنَيْهِ، وَأَرادَ أَنْ يَسْبَح. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ ذلِكَ، وَلا حَتّى أَنْ يُبْقِيَ رَأْسَهُ فَوْقَ الماء. حَقيبَةُ الظَّهْرِ، الحِذاءُ، الثِّيابُ الثَّقيلَة...

آاااا! طِشْشْشْ...!

صاحَتْ عُلا، وَهِيَ تَبْصُقُ الماءَ
مِنْ فَمِها: «أَنا هُنا. سَأُساعِدُك!»
أَدْرَكَ شادي أَنَّها قَريبَةٌ مِنْهُ، لكِنَّهُ
لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَراها.
سَأَلَتْهُ عُلا: «أَيْنَ الطَّريقُ إِلى مَكانٍ نَخْرُجُ
مِنْهُ؟»
– لا أَدري! اِسْبَحي!
بَدَأَ شادي يُحَرِّكُ ذِراعَيْهِ وَرِجْلَيْهِ مَعًا، وَيَتَقَدَّمُ
بِبُطْءٍ شَديد.
سَمِعَ عُلا تَسْبَحُ أَيْضًا. ظَنَّ في البَدْءِ أَنَّها تَسْبَحُ أَمامَهُ.
فَجْأَةً، سَمِعَ وَراءَهُ صَوْتَ غَوْصَةٍ قَصيرَةٍ في الماء:
طِشْشْش...!
نادى شادي أُخْتَهُ، فَرَدَّتْ عَلَيْه. لكِنَّ صَوْتَها أَتى مِنْ
أَمامِهِ، لا مِنْ وَرائِه!
طِشْشْش...! غَوْصَةٌ قَصيرَةٌ أُخْرى في الماء... وَراءَه!



كادَ قَلْبُ شادي يَتَوَقَّفُ هَلَعًا. تَماسيح؟
لَمْ يتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ شَيْءٍ بِسَبَبِ الظَّلامِ، وَبِسَبَبِ قَطَراتِ
الماءِ الَّتي تُغَطّي نَظّارَتَه.
نادى أُخْتَهُ هَمْسًا: «عُلا!»
– ماذا؟
– اِسْبَحي بِسُرْعَة!

أَجابَتْهُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ أَيْضًا: «لكِنَّني هُنا. هُنا! قُرْبَ حافَّةِ الخَنْدَق!»

سَبَحَ شادي في الظَّلامِ، بِاتِّجاهِ صَوْتِها. كانَ خائِفًا جِدًّا، لِأَنَّهُ تَخَيَّلَ تِمْساحًا ضَخْمًا يَنْزَلِقُ وَراءَه.

غَوْصَةٌ قصيرَةٌ ثالِثَةٌ، غَيْرُ بَعيدَة: طِشْشْش...!

لَمَسَتْ يَدُ شادي شَيْئًا حَيًّا، رَطِبًا. فَصاحَ مُرْتَعِبًا: «آاااه!»

– هذِهِ أَنا. امْسِكْ بِيَدي!

أَمْسَكَ شادي بِيَدِ عُلا، فَسَحَبَتْهُ إِلى حافَّةِ الخَنْدَق. وَمِنْ هُناكَ، زَحَفا عَلى حِجارَةٍ مَرْصوفَةٍ إِلى أَعْشابٍ رَطِبَة.

– لَقَدْ نَجَوْنا!

صَوْتُ غَوْصَةٍ قَصيرَةٍ أُخْرى في الخَنْدَقِ المائِيِّ: طِشْشْش...!

– يا وَيْلاه!!!

قالَها شادي بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ، فيما كانَتْ أَسْنانُهُ تَصْطَكّ.

نَفَضَ المِياهَ عَنْ نَظّارَته. كانَ الضَّبابُ كَثيفًا، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ القَلْعَة. لَمْ يَسْتَطِعْ حَتّى أَنْ يَرى الخَنْدَق. وَبالتَّأْكيدِ، لَنْ يَسْتَطيعَ أَنْ يَرى أَيَّ تَماسيحَ في الماءِ الدّاكِن.

قالَتْ عُلا، فيما كانَتْ أَسْنانُها أَيْضًا تَصْطَكُّ: «لَـ... لَقَدْ وَ... وَ... وَصَلْنا!»

– أَعْرِفُ أَنَّنا وَصَـ... لْنا. وَ... وَ... لكِنْ إِلى أَيْن؟

لَمْ يَتَمَكَّنْ نَظَرُ شادي مِنَ اخْتِراقِ الظَّلامِ وَالضَّباب. أَيْنَ الجِسْرُ المُتَحَرِّك؟ أَيْنَ الأَشْجار؟ أَيْنَ العِرْزال؟

كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَهُما اخْتَفى... ابْتَلَعَهُ الظَّلامُ وَالضَّباب!

أَدْخَلَ شادي يَدَهُ في حَقيبَتِهِ المُبَلَّلَةِ، وَأَخْرَجَ المِصْباحَ اليَدَوِيّ. دَفَعَ مِفْتاحَ الكَهْرَباءِ، لكِنَّ المِصْباحَ لَمْ يَعْمَلْ!

إِنَّهُما مَحْبوسان. لَيْسَ في زِنْزانَةٍ، وَإِنَّما في ظُلْمَةٍ صامِتَةٍ بارِدَة.

«نيييي... هِهِهِ!» صَهيلُ حِصان.

فَجْأَةً، انْشَقَّتِ الغُيومُ... وَأَشَعَّ نورُ القَمَرِ في السَّماء.
اِخْتَرَقَ النُّورُ طَبَقاتِ الضَّبابِ، فَتَمَكَّنَ الأَخَوانِ مِنْ رُؤْيَةِ ما حَوْلَهُما.

أوه! هذا هُوَ الفارِسُ، عَلى بُعْدِ خُطُواتٍ مِنْ شادي وَعُلا.
كانَ مُمْتَطِيًا حِصانَهُ الأَسْوَدَ، وَدُروعُهُ تَلْمَعُ في نورِ القَمَر.
وَكانَتْ واقِيَةُ الوَجْهِ في خوذَتِهِ تُخْفي وَجْهَهُ. لكِنَّهُ بَدا وَكَأَنَّهُ يُحَدِّقُ في شادي وَعُلا!

9

في ضَوْءِ القَمَر

تَجَمَّدَ شادي في مَكانِهِ، وَوَقَفَ شَعْرُ رَأْسِه.
هَمَسَتْ عُلا في أُذُنِهِ: «هذا هُوَ الفارِسُ نَفْسُه.»
مَدَّ الفارِسُ يَدَهُ المَكْسُوَّةَ بِقُفَّازٍ سَميك.

– هَيَّا بِنا، يا شادي؟

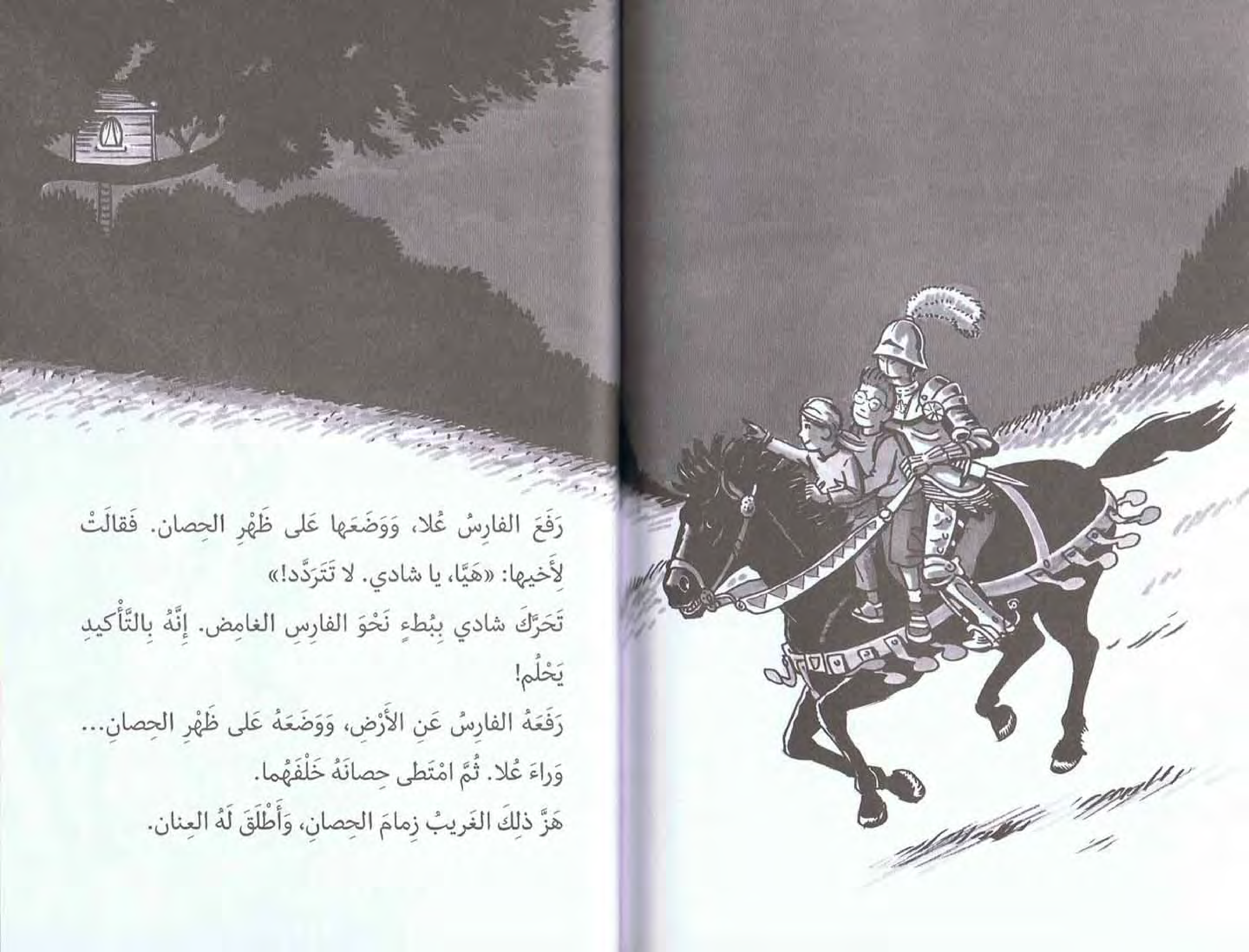
– إلى أَيْنَ تَظُنِّينَ أَنَّكِ ذاهِبَة؟

فَقالَتْ لَهُ عُلا: «هَيَّا، إِنَّهُ يُريدُ مُساعَدَتَنا.»

– كَيْفَ تَعْرِفينَ ذَلِك؟

– هذا هُوَ إِحْساسي... وَاقْتِناعي.

اقْتَرَبَتْ عُلا مِنَ الفَرَسِ، فَنَزَلَ الفارِسُ عَنْ فَرَسِهِ وَمَشى نَحْوَها.



رَفَعَ الفارِسُ عُلا، وَوَضَعَها عَلى ظَهْرِ الحِصان. فَقالَتْ لِأَخيها: «هَيَّا، يا شادي. لا تَتَرَدَّد!»

تَحَرَّكَ شادي بِبُطءٍ نَحْوَ الفارِسِ الغامِض. إِنَّهُ بِالتَّأْكيدِ يَحْلُم!

رَفَعَهُ الفارِسُ عَنِ الأَرْضِ، وَوَضَعَهُ عَلى ظَهْرِ الحِصانِ... وَراءَ عُلا. ثُمَّ امْتَطى حِصانَهُ خَلْفَهُما.

هَزَّ ذلِكَ الغَريبُ زِمامَ الحِصانِ، وَأَطْلَقَ لَهُ العِنان.



انْطَلَقَ الجَوادُ الأَسْوَدُ خَبَبًا قُرْبَ حافَّةِ الخَنْدَقِ، حَيْثُ المِياهُ تَلْمَعُ في ضَوْءِ القَمَرِ.

كانَ شادي يَتَأَرْجَحُ على سَرْجِ الحِصانِ... إلى الأمْام وَإلى الوَراءِ... وَشَعْرُهُ يَتَطايَر! لكِنَّهُ شَعَرَ بِأَنَّهُ شُجاعٌ جِدًّا، وَقَوِيٌّ جِدًّا.

شَعَرَ بِأَنَّه قادِرٌ عَلى رُكوبِ هذا الحِصانِ، مَعَ هذا الفارِسِ الغامِضِ، إلى الأَبَد. فَوْقَ العالَم. فَوْقَ القَمَر.

قَعْقَعَ صَقْرٌ في الظَّلام.

أَشارَتْ عُلا إِلى مَجْموعَةٍ مِنَ الأَشْجارِ، وَقالَتْ: «اُنْظُرْ! هذا هُوَ عِرْزالُنا!»

وَجَّهَ الفارِسُ الصَّامِتُ فَرَسَهُ نَحْوَ الأَشْجار.

أَشارَتْ عُلا إِلى سُلَّمِ الحِبالِ، وَقالَتْ: «ها! إِنَّهُ هُنا!»

شَدَّ الفارِسُ لِجامَ حِصانِهِ، وَأَوْقَفَهُ.

نَزَلَ عَنِ الحِصانِ، وَساعَدَ عُلا عَلى النُّزول.

اِنْحَنَتْ عُلا أَمامَ مُنْقِذِها، احْتِرامًا، وَقالَتْ: «شُكْرًا، أَيُّها الفارِسُ النَّبيل!»

كَرَّر الفارِسُ الأَمْرَ مَعَ شادي. فَانْحَنَى شادي احْتِرامًا، وَشَكَرَهُ.

اِمْتَطى الفارِسُ حِصانَهُ مُجَدَّدًا! رَفَعَ يَدَهُ المَكْسُوَّةَ بِقُفَّازٍ سَميكٍ، مُحَيِّيًا. ثُمَّ هَزَّ لِجامَ الحِصانِ، وَاخْتَفى عَنِ الأَنْظارِ في وَسَطِ الضَّباب.

بَدأَتْ عُلا في الصُّعودِ عَلى سُلَّمِ الحِبالِ، وَتَبِعَها شادي. وَصَلا إلى العِرْزالِ، وَنَظَرا مِنَ النّافِذَةِ إلى الخارِجِ.

كانَ الفارِسُ راكِبًا حِصانَهُ بِاتِّجاهِ الجِدارِ الخارِجِيّ. وَشاهَدَهُ الأَخَوانِ يَمُرُّ عَبْرَ البَوّابَةِ الخارِجِيَّة.

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، بَدَأَتِ الغُيومُ تَحْجُبُ القَمَرَ وَنورَهُ مَرَّةً أُخْرى.

لِلَحْظَةٍ خاطِفَةٍ، ظَنَّ شادي أَنَّه رَأى دُروعَ الفارِسِ تَلْمَعُ عَلى قِمَّةِ تَلَّةٍ وَراءَ القَلْعَة.

حَجَبَتِ الغُيومُ نورَ القَمَرِ كُلِّيًّا، وَابْتَلَعَ الضَّبابُ الدّاكِنُ كُلَّ شَيْء.

هَمَسَتْ عُلا، قائِلَةً: «يَبْدو أَنَّ الفارِسَ ذَهَبَ نِهائِيًّا».

لكِنَّ شادي لَمْ يَقُلْ شَيْئًا. كانَ شارِدَ الفِكْرِ، يَرْتَجِفُ في ثِيابِهِ المُبَلَّلَة.

قالَتْ عُلا: «إِنَّني أَشْعُرُ بِبَرْدٍ شَديد! أَيْنَ الكِتابُ عَنْ بِلادِنا؟»

سَمِعَ شادي شَقيقَتَهُ تَتَلَمَّسُ طَريقَها في الظَّلام. لكِنَّهُ ظَلَّ يُحَدِّقُ مِنَ النّافِذَة.

– أَعْتَقِدُ أَنَّ هذا هُوَ الكِتابُ عَنْ بِلادِنا. فَها هِيَ العَلامَةُ الحَريرِيَّةُ لِلصَّفْحَةِ عَنْ بَلْدَتِنا.

سَمِعَ شادي بَعْضَ كَلِماتِها. كانَ يَتَرَقَّبُ رُؤْيَةَ دُروعِ الفارِسِ تَلْمَعُ مَرَّةً أَخيرَةً مِنْ مَكانٍ بَعيد.

قالَتْ عُلا: «حَسَنًا، سَأَسْتَعْمِلُ هذِهِ الصَّفْحَة. أَظُنُّ أَنَّها الصَّحيحَة. ها أَنا أُشيرُ إِلَيْها، وَسَأَتَمَنّى... مِثْلَما فَعَلْتَ أَنْتَ سابِقًا. سَأَتَمَنّى العَوْدَةَ إلى بَلْدَتِنا، الشَّجْراء».

سَمِعَ شادي الرِّيحَ تَبْدَأُ في الصَّفيرِ... بِنُعومَة.

ثُمَّ سَمِعَ عُلا تَقولُ: «أَرْجو أَنْ أَكونَ قَدْ أَشَرْتُ إِلى الصّورَةِ الصَّحيحَةِ... في الكِتابِ الصَّحيح!»

اِلْتَفَتَ إِلَيْها شادي، وَقالَ بِغَضَبٍ وَخَوْف: «ماذا؟ الصّورَةُ الصَّحيحَة؟ الكِتابُ الصَّحيح؟ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَعودَ إِلى...؟»

بَدَأَ العِرْزالُ يَهْتَزُّ وَيَتَراقَصُ في أَعْلى شَجَرَةِ السِّنْديانِ العالِيَة. وَازْدادَتْ قُوَّةُ الرِّيحِ شَيْئًا فَشَيْئًا.

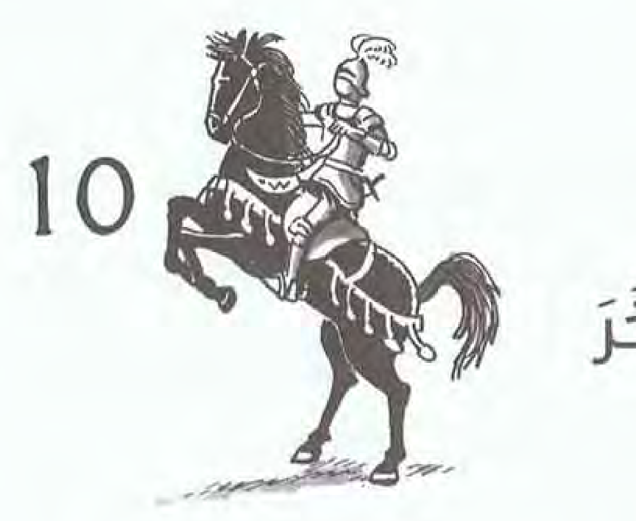
قالَتْ عُلا، مُتَلَعْثِمَةً: «أَرْ ... أَرْجو أَنْ لا يَكونَ هذا... هذا الكِتابُ... كِتابَ الدَّيْناصُ... الدَّيْناصورات!»

صَرَخَ شادي بِالعِرْزالِ، قائِلًا: «تَوَقَّفْ! تَوَقَّفْ فَوْرًا!»

لكِنْ، فاتَ الأَوان. فَقَدْ بَدَأَ العِرْزالُ يَدورُ بِسُرْعَةٍ شَديدَةٍ... وَيَدور! وَصارَ صَوْتُ الرِّيحِ مِثْلَ الصُّراخِ وَالزَّعيق.

فَجْأَةً، عَمَّ الصَّمْتُ في كُلِّ المِنْطَقَة.

صَمْتٌ مُطْبِقٌ تامٌّ!



10 حَلُّ لُغْزٍ آخَرَ

كانَ الهَواءُ دافِئًا، وَالوَقْتُ فَجْرًا. وَفي مَكانٍ بَعيدٍ، كَلْبٌ يَنْبَح.

قالَتْ عُلا: «أَعْتَقِدُ أَنَّ هذا نُباحُ كَلْبِ جيرانِنا، بوبي! لَقَدْ عُدْنا! عُدْنا إِلى بَلْدَتِنا.»

نَظَرَ الاثْنانِ مِنْ نافِذَةِ العِرْزالِ، وَقالَ شادي: «هَلْ تَعْلَمينَ أَنَّنا نَجَوْنا بِأُعْجوبَةٍ؟»

عَلى بُعْدِ مِئاتِ الأَمْتارِ، كانَتْ مَصابيحُ شارِعِهِما تُنيرُ الطَّريقَ وَالأَرْصِفَة. وَ... فَجأَةً، لَمَعَ ضَوْءٌ في إِحْدى نَوافِذِ بَيْتِهِما العُلْوِيَّة.

فَقالَتْ عُلا: «راحَتْ عَلَيْنا، يا أَبو الشُّدود! أَعْتَقِدُ أَنَّ أُمِّي وَأَبي اسْتَيْقَظا. أَسْرِع!»

صَرَخَ شادي، قائِلًا: «انْتَظِري!»

وَمِثْلَ الدَّائِخِ، فَتَحَ حَقيبَتَهُ... وَأَخْرَجَ الكِتابَ عَنِ القِلاع.

كانَ الكِتابُ مُبَلَّلًا، فَوَضَعَهُ مَعَ بَقِيَّةِ الكُتُب.

بَدَأَتْ عُلا تَنْزِلُ عَلى سُلَّمِ الحِبالِ، قائِلَةً:

«هَيَّا! أَسْرِع!»

لَحِقَ بِها شادي عَلى السُّلَّم.

نَزَلا عَنْهُ، وَانطَلَقا بَيْنَ الأَشْجار.

خَرَجا مِنَ الغابَةِ، وَرَكَضا نَحْوَ شارِعِهِما المَهْجور.

وَصَلا إِلى السَّاحَةِ الخارِجيَّةِ لِبَيْتِهِما، وَانْطَلَقا على العُشْبِ القَصيرِ... إِلى البابِ الخَلْفِيّ.

هَمَسَتْ عُلا في أُذُنِ شادي: «إِنَّهُما لَمْ يَنْزِلا بَعْد.»

– شْشْش!

صَعِدَ شادي عَلى الدَّرَجِ، وَكانَتْ عُلا وَراءَهُ مُباشَرَةً... إِلى رَدْهَةِ البَيْت. لا أَثَرَ لِلْوالِدَيْنِ هُنا، لكِنَّ شادي سَمِعَ صَوْتَ مِياهِ الاِسْتِحْمام.

بَدا البَيْتُ مُخْتَلِفًا جِدًّا عَنِ القَلْعَةِ المُعْتِمَةِ البارِدَة. بَيْتٌ آمِنٌ، وَدافِئٌ، وَمُريحٌ جِدًّا.

وَقَفَتْ عُلا أَمامَ بابِ غُرْفَتِها. ابْتَسَمَتْ لِأَخيها، وَاخْتَفَتْ داخِلَ الغُرْفَة.

أَسْرَعَ شادي نَحْوَ غُرْفَتِه. خَلَعَ ثِيابَهُ المُرَطَّبَةِ، وَارْتَدى ثِيابَ النَّوْمِ النَّاشِفَةَ، النَّاعِمَة.



جَلَسَ شادي عَلى سَريرِه، وَفَتَحَ حَقيبَتَه. أَخْرَجَ مِنْها دَفْتَرَهُ المُبَلَّلَ، لِيَكْتُبَ بَعْضَ المُلاحَظات. وَعِنْدَما أَرادَ إِخْراجَ القَلَمِ، لَمَسَتْ يَدُهُ شَيْئًا آخَر.

سَحَبَ العَلامَةَ الجِلْدِيَّةَ الزَّرْقاءَ مِنَ الحَقيبَة. لا شَكَّ في أَنَّها وَقَعَتْ مِنْ كِتابِ القِلاع. قَرَّبَ عَلامَةَ الكِتابِ مِنَ المِصْباحِ قُرْبَ سَريرِه، وَتَفَحَّصَها. كانَ الجِلْدُ ناعِمَ المَلْمَسِ، لكِنَّهُ مُتَآكِلٌ إِلى حَدٍّ ما. إِنَّها بِالتَّأْكيدِ عَلامَةٌ قَديمَةٌ جِدًّا.

فَجْأَةً، انْتَبَهَ شادي إِلى وُجودِ حَرْفٍ في أَعْلى العَلامَة. حَرْفُ «ميم» مُزَخْرَفٌ، جَميل.

فَتَحَ الدُّرْجَ قُرْبَ سَريرِه، وَأَخْرَجَ مِنْهُ الميدالِيَةَ الذَّهَبِيَّة.

تَأَمَّلَ الحَرْفَ المَحْفورَ فيها. إِنَّهُ الحَرْفُ نَفْسُهُ عَلى عَلامَةِ الكِتابِ الجِلْدِيَّة.

هذِهِ مَعْلومَةٌ جَديدَةٌ مُذْهِلَة.

تَنَفَّسَ شادي بِارْتِياحٍ وَسُرور. هذا لُغْزٌ آخَرُ يُحَلّ!

لا شَكَّ في أَنَّ الشَّخْصَ الَّذي أَوْقَعَ الميدالِيَةَ الذَّهَبِيَّةَ في زَمَنِ الدَّيْناصوراتِ هُوَ نَفْسُهُ الَّذي كانَ يَمْلِكُ كُلَّ تِلْكَ الكُتُبِ في العِرْزال.

وَلكِنْ، مَنْ هُوَ ذلِكَ الشَّخْص؟

أَعادَ شادي الميدالِيَةَ إِلى الدُّرْجِ، وَوَضَعَ العَلامَةَ الجِلْدِيَّةَ قُرْبَها... ثُمَّ أَغْلَقَ الدُّرْج.

حَمَلَ قَلَمَهُ، وَفَتَحَ الدَّفْتَر. بَحَثَ عَنْ أَقَلِّ الصَّفَحاتِ بَلَلًا، وَبَدَأَ يَكْتُبُ مَعْلومَتَهُ الجَديدَةَ:

إِنَّهُ الشَّكْلُ ذاتُهُ لِـ...

وَلكِنْ قَبْلَ تَمَكُّنِهِ مِنْ رَسْمِ حَرْفِ الميم، غَمَضَتْ عَيْناهُ مِنْ شِدَّةِ النُّعاس.

حَلَمَ شادي بِأَنَّهُ وَعُلا كانا مَعَ الفارِسِ مَرَّةً أُخْرى. وَكانَ الثَّلاثَةُ راكِبينَ الحِصانَ الأَسْوَدَ، في تِلْكَ اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ البارِدَة.

تَجاوَزوا الجِدارَ الخارِجِيَّ لِلْقَلْعَةِ، وَصَعِدوا إِلى تَلَّةٍ سابِحَةٍ في نورِ القَمَر.

وَمِنْها... إِلى عالَمِ الضَّباب!



العرزال السحري
2
الفارس الغامض
ماري پووپ أوزبورن
هاشيت
أنطوان A.
أطفال